# الأخوانيات

# فى شعر ابن الخيمى

دكتور

**غريب محمد على أحمد**

أستاذ الأدب العربى المساعد

كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادى

# الإخوانيات

# فى شعر ابن الخيمى

**مدخل:**

لا أعتقد أن ثمة دراسة قد إهتمت بابن الخيمى من قبل غير التى قدمها د.محمد زغلول سلام فى كتابه "الأدب فى العصر المملوكى"[1] وهى دراسة لاتزيد عن ست صفحات اعتمد فيها على ما أوردته المصادر من شعر لابن الخيمى وربما كانت هذه الأشعار إلى جانب التعريف بالشاعر فى تلك المصادر هى التى دفعت بالدكتور محمد زغلول سلام إلى أن جعل ابن الخيمى من رءوس الطبقة الأولى من صوفية ذلك العصر الذين أطلق عليهم اصحاب "مذهب الوجد والعشق الإلهى".

هذا وشعر الإخوانيات شعر مخالف لما تعارف عليه الشعراء واعتادوه فهو شعر لازيف فيه ولا تملق، شعر فيه الصراحة والصدق يتسم صاحبه بالوفاء والمجاملة الرقيقة وصدق العاطفة وقوتها وعمق الشعور ورقة الإحساس وهو شعر متنوع موزع ما بين المديح والعتاب والشكوى والشوق والاستعطاف والتهنئة والعزاء، وبمعنى آخر لايقتصر على لون واحد من الشعر وبه ومن خلاله تظهر شخصية صاحبه فهو يفصح عن القسمات النفسية لناظمه ويدل على سعة خياله ودرجة ثقافته وعلاقته بأصدقائه ومجتمعه، ويدل على منزلته لدى إخوانه من الشعراء كما يدل على سعة الأفق واتساع النواحى الأدبية.

---

(١) الأدب فى العصر المملوكى: د. محمد زغلول سلام، جـ١، ص٢٣٣، ص٢٣٨، ط دار المعارف، سنة ١٩٧١م.

والحق أن هذا اللون من الشعر يعد مادة خصبة سخية للتجديد فى المعانى والتلاعب بها وتوليد الصور وعدم التكلف.

ويتقمص هدا الشعر- فى بعض الأحيان- أغراض النثر مما يجعله يتجه إلى البساطة والسهولة والإهتمام بالمعنى واطراح الصنعة المعقدة"[1].

وهو بالإضافة إلى ذلك ليس (شعراً جافاً لأنه مرتبط بواقع الشاعر وحياته وأمكنته وأحاسيسه، ولذلك نشم له رائحة ونجد له روحًا)[2].

وفيه يهدف صاحبه إلى الإطراف والإمتاع والمداعبة والظرف ويحاول إظهار المهارة والتفوق وبه يدل على مقدرته الفنية وبراعته الشعرية.

ولكن لايسهل نظمه على كل الشعراء، فهو لايقوى عليه إلا المتمكنون من صنعتهم الشعرية، لأنه يحتاج إلى "القدرة الموسيقية التى تسخر اللفظة والجملة والمعنى والزينة لها وتسبك ذلك كله فى إطار بارع"[3].

وهو بالإضافة إلى ذلك يطلعنا على جانب من العلاقات الإخوانية بين الشعراء وفى الوقت نفسه له دور فى إثراء الحركة الأدبية.

ومن ثم كانت هذه المحاولة التى تستجلى هذه الظاهرة عند شاعر لم يحقق ديوانه بعد، والذى يعد فى تصورى زعيم فن الاخوانيات فى عصره وهو ابن الخيمى.

---

(١) فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين: د. مصطفى الشكعة، ص٤١٤، ط عالم الكتب، بيروت، سنة ١٩٨١.

(٢) مطالعات فى الشعر المملوكى والعثمانى: د. بكرى شيخ أمين، ص٣٩٢، ط دار العلم، بيروت، ط٤، سنة ١٩٨٦.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩١.

## نشأة فن الإخوانيات وتطوره:

فن الإخوانيات فن قديم فى الشعر، فلقد شهد العصر الجاهلى شيئاً منه يوم أن تلاحن امرؤ القيس وعبيد بن الأبرص[1]، هذا ومما يؤكد أن فن الإخوانيات له جذوره فى العصر الجاهلى ما روى من أن لقيط بن يعمر الإيادى- وكان كاتبا فى ديوان كسرى- كتب إلى إخوانه وابناء قبيلته ينذرهم غزو كسرى إياهم ويحذرهم زحف جيوشه السرارة إليهم[2] من قصيدته التى مطلعها.

يادار عمرة من محتلها الجرعا ∴ هاجت لى الهم والأحزان والوجعا

وفيها يقول:

بل أيها الراكب المزجى مطيته ∴ إلى الجزيرة مرتادا ومنتجعا

أبلغ إيادا وخلل فى سراتهم ∴ أنى أرى الرأى إن لم أعص قد نصعا

يالهف نفسى إن كانت أموركم ∴ شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا

ألا تخافون قوما لا أبا لكم ∴ أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا[3]

---

(١) أورد صاحب "بدائع البداهة "على بن ظافر الأزدى شيئاً من ذلك حيث يروى أن عبيد بن الأبرص لقى أمرأ القيس فقال له عبيد: كيف معرفتك بالأوابد؟ فقال ألق ما أحببت، فقال عبيد:

ما حبة ميته أحيت بميتها ∴ درداء ما أنبتت سناً وأضراساً

فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرة تسقى فى سنابلها ∴ فأخرجت بعد طول المكث أكداسا

انظر: بدائع البداهة: ص١٣، ط الأنجلو، سنة ١٩٧٠.

(٢) مجلة الدارة: عدد ٣، السنة ١٤، سنة ١٤٠٩هـ، بحث للدكتور محمد عبد الحميد سالم بعنوان "موازنة بين سجع المطوق" لابن نباته المصرى المتوفى سنة ٧٦٨هـ "وألحان السواجع" لصلاح الدين الصفدى، المتوفى سنة ٧٦٤هـ، ص١٩٠ وقد أورد د. محمد عبد الحميد سالم مطلع هذه القصيدة للقيط بن يعمر ويتبين آخرين فى بحثه يستدل بذلك على أن فن الاخوانيات كان له جذوره فى العصر الجاهلى.

(٣) مختارات شعراء العرب لابن الشجرى: تحقيق د. نعمان محمد أمين، ص٢٥، ٢٦، ط دار التوفيق، ط أولى، سنة ١٩٧٩، وانظر أيضاً مختارات أشعار العرب، بتحقيق على محمد البجاوى، دار نهضة مصر، سنة١٩٧٥م.

وشهد عصر صدر الإسلام شيئاً من هذا الفن فى تلك القصائد المتبادلة بين كعب بن زهير وأخيه بجير[١].

وازدهر هذا الفن فى القرن الرابع الهجرى الذى احتوى على رسائل الصابى والشريف الرضى، ورسائل الصاحب بن عباد ورسائل الخوارزمى، ورسائل بديع الزمان الهمذانى[٢].

وأما الأدب المصرى فلقد شهد شيئاً من ذلك فى عصوره الأولى[٣] حتى إذا ما كان العصر الذى عاش فيه شاعرنا إذا بانطلاقه كبرى لهذا الفن وآية ذلك المراسلات والإخوانيات التى دارت بين ابن سناء الملك والقاضى الفاضل والمكاتبات والمساجلات الشعرية التى كانت بين ابن مطروح والبهاء زهير[٤].

---

(١) ومن ذلك الرسالة التى بعث بها كعب إلى أخيه يقول فيها:

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة ∴ فهل لك فيما ويحك هل لكا

انظر سيرة ابن هشام: قسم ٢، جـ٤، ص٥٠١. تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط ثانية، الباب الحلبى، سنة ١٩٥٥م.

(٢) انظر د. محمد عبد الحميد سالم: مجلة الدارة، ص١٩٠، عدد ٣، السنة الرابعة عشرة، سنة ١٤٠٩هـ، "موازنة بين سجع المطوق وألحان السواجع".

(٣) مثل المعلى الطائى (المتوفى بعد سنة ٢١٤هـ) الذى "كان له مع شعراء عصره محاورات ودعابات". انظر: شعراء مصر من الفتح حتى الدولة الفاطمية: محمد مصطفى الماحى، د.محمد عبد المنعم خفاجى، ص٧٢، ط الهيئة المصرية، سنة ١٩٨٠.

والمعلى: شاعر عاش بمصر فى عهد الولاء العباسيين.

وقد ذكر الكندى فى كتابه "الولاة والقضاة" مجموعة من اشعار المعلى فى أماكن متفرقة.

(٤) وذلك مثل المساجلة التىوردت فى ديوان البهاء زهير من أن ابن مطروح ارسل إلى البهاء يذكر أنه مرض فكتب إليه البهاء قائلاً:

أيا من جاء نى منه ∴ كتاب يشتكى الوصبا

بعيد عنك ما تشكو ∴ وبالواشين والرقبا

لقد ضاعفت يا روحى ∴ لروحى الهم والنصبا

فأجابه ابن مطروح: ===

ويبدو "أن العلاقة المتينة التى كانت تربط الشعراء بعضهم ببعض مصدرها فى الأدب فقد قرب هذا الفن بينهم وجعل منهم عصبة أولى قوة وإخوانا فى السراء والضراء"(١) ولعل من أهم الأسباب التى أدت إلى تلك الإخوانيات- بالإضافة إلى ما سبق- علاقة الود والمحبة التى كانت تربط بين الشعراء أحياناً، وعلاقة التنافس فى أحيان أخرى، والمجالس الأدبية التى كانوا يتبارون فيها بأشعارهم، ولا يمكن أن يغفل أيضاً عامل الغربة الذى يؤجج الشوق ويبعث على الحنين فيرسل الشاعر إلى صديقه شيئاً من شعره يبثه زفرات من ذلك الحنين.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك: المطالب المادية والبحث عن المناصب الاجتماعية أو السياسية "بل كانت الصلات الإخوانية من أهم الدوافع إلى النظم والكتابة فى القرون المتأخرة وبخاصة فى القرنين السابع والثامن الهجريين اللذين فقد فيهما الأدباء تشجيع الحكام وحرموا مكافآتهم"(٢).

---

== أيا من راح عن حالى ∴ بسائل مشفقاً حدباً

ومن اضحى أخاً لى فى الـ ∴ وداد وفى الخطو أبا

وحقك لو نظرت إلـ ∴ ـى كنت تشاهد العجبا

جفون تشتكى غرقاً ∴ وقلب يشتكى لهبا

انظر ديوان البهاء زهير، ص٣٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد طاهر الجبلاوى، ط دار المعارف سنة ١٩٨٢.

ومن المراسلات تلك القصائد التى بعث بها ابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل وأغلبها يدخل فى باب التهنئة وهى كثيرة منها على سبيل المثال قوله الذى يهنئ فيه القاضى الفاضل بعيد النحر.

أيها الفاضل الذى حاز فضلاً ∴ عز فيه التعديد والتحديد

وتهن العيد الجديد سعيداً ∴ فهو عيد وأنت للعيد عيد

انظر: ديوان ابن سناء الملك جـ٢، ص١٠٠، ١٠١، تحقيق محمد إبراهيم نصر، مراجعة د. حسين نصار، نشر دار الكتاب العربى، سنة ١٩٦٩م.

(١) دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين: د. محمد كامل حسين، ص١٦٧ ط دار الفكر العربى، سنة ١٩٥٧.

(٢) (مجلة الدارة، ص١٩١) بحث للدكتور/ محمد عبد الحميد سالم بعنوان: "موازنة بين سجع المطوق" لابن نباته المصرى، وألحان السواجع "لصلاح الدين الصفدى".

## نبذة عن حياة ابن الخيمى:

ابن الخيمى هو أبو عبد الله شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصارى اليمنى الأصل، المصرى الدار المولود سنة ٦٠٢هـ والمتوفى سنة ٦٨٥هـ[١].

والحق أن المصادر التى بين ايدينا لاتقدم لنا أخباراً مفصلة عن حياة ابن الخيمى وكل ما نعرفه أنه ولد بمصر، وقد تتلمذ على يد ابن البناء المكى[٢]، "وأجاز له ابن سكينة"[٣]، وروى عنه مجموعة من التلاميذ مثل الصقلى وابن منير وابن الظاهرى[٤].

ومعنى ذلك أنه كان محدثاً له مكانته العلمية وقد تقلد عدة مناصب أهمها مباشرة الدواوين "ووقف مدرسة الشافعى ومشهد الحسين"[٥]، وكان ابن الخيمى- بالإضافة إلى ذلك- شاعراً مجيداً "مقدماً على شعراء عصره"[٦].

---

(١) انظر : فى ترجمته:
- الوافى بالوفيات: الصفدى، جـ٤، ص٥٠، ط ثانية، سنة ١٩٦٢.
- فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبى، مجلد ٣، ص٤١٤، ط دار الثقافة بيروت.
- حسن المحاضرة: السيوطى جـ١، ص٥٦٩ ط عيسى البابى الحلبى، ط أولى سنة ١٩٦٧م
- شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلى، جـ٥ ص٣٩٣، ط دار الأفاق الجديدة بيروت.
- النجوم الزاهرة: ابن تغرى بردى، جـ٧، ص٣٦٩، ط دار الكتب المصرية.
- تاريخ الأدب العربى: بروكلمان، قسم ٣، ص٨٤، ط ، الهيئة المصرية العامة.
- الإعلام/ الزركلى: جـ٦ ص٢٥٠، ط بيروت، دار العلم، سنة ١٩٨٦م.
- ونلاحظ أن ابن تغرى بردى قد ذكر أن مولد الشاعر كان سنة ٦٠٣ وأما ابن شاكر الكتبى فيذكر أنه عاش اثنين وثمانين عاماً، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٦٨٥هـ انظر فوات الوفيات: جـ٣ ص٤١٣.

وعلى رواية ابن شاكر يكون مولد الشاعر سنة ٦٠٣هـ ولعل رواية ابن شاكر تكون أرجح فهو اقرب عصراً إلى زمن الشاعر من ابن تغرى بردى.

(٢) فوات الوفيات: جـ٣، ص٤١٣.

(٣) الوافى بالوفيات: جـ٤، ٥٠.

(٤) انظر: المصدرين السابقين نفس الأجزاء والصفحات.

(٥) الوافى بالوفيات: جـ٤، ص٥٠.

(٦) الوافى بالوفيات: جـ٤، ص٥٠، وفوات الوفيات: جـ٣، ص٤١٣.

ويصفه كل من السيوطى وابن العماد والحنبلى بأنه كان "حامل لواء النظم فى وقته"[1]. كما كان متصوفاً سالكاً قدوة فى الطريقة واسوة فى علم الحقيقة إلاَّ أن صناعة الأدب عليه أغلب وعلم الشعر فيه أرجح[2].

وقد كانت له صلات وثيقة وعلاقة حميمة بابن الفارض الشاعر الصوفى المعروف وصلات بكبار رجال الدولة مثل ابن خلكان وابن السنجارى وغيرهما[3].

وقد عرف ابن الخيمى بصفات أخلاقية جليلة كالأمانة والحلم[4] وكان باراً وفياً مخلصاً وذلك كما يظهر فى مراسلاته لأبيه كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

وأما عن اسرته فقد سكتت المصادر عن ذلك تماماً إلاَّ إشارة ابن خلكان التى نفهم منها أن والد الشاعر كان من العلماء والفقهاء إذ يقول عند ترجمة ابن وكيع التيسى وبعد أن عرض بعض الأبيات لابن وكيع مطلعها:

أبصره عازلة عايه ∴ ولم يكن قبل ذا رأه

يقول: "وكنت أنشدت هذه الأبيات" لصاحبنا الفقيه شهاب الدين محمد ولد الشيخ تقى الدين عبد المنعم المعروف بالخيمى فأنشدنى لنفسه فى المعنى.

---

(١) انظر حسن المحاضرة: جـ١، ص٥٦٩، شذرات الذهب: جـ٥، ص٣٩٣.

(٢) حسن المحاضرة: جـ١، ص٥٦٩.

(٣) ابن خلكان هو: قاضى القضاه شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم صاحب وفيات الأعيان- سكان مصر مده وناب فى القضاء بها ثم ولى قضاء الشام- كان سرياً ذكياً إخبارياً عارفاً بأيام الناس.

انظر حسن المحاضرة: جـ١، ص٥٥٥، "ويقول عنه الزركلى أنه ولد سنة ٦٠٨هـ، وهو المؤرخ فى الحجة والأديب الماهر، وقد توفى سنة ٦٨١هـ، الأعلام: جـ١، ص٢٢٠.

ابن السنجارى: هو بدر الدين يوسف بن الحسن السنجارى، تولى القضاء سنة ٦٣٩، انظر حسن المحاضرة، جـ٢، ص١٦٠.

(٤) انظر فوات الوفيات: جـ٣، ص٤١٣، والوافى بالوفيات: جـ٤، ص٥٠ حيث يذكر كل من ابن شاكر والصفدى أنه كان (فيه أمانة- ولم يعرف عنه غضب).

لـــو رأى وجـــه حبيبـــى عـــاذلى ∴ لتفاصلنـــا علـــى وجـــه جميـــل

وهذا البيت من جملة ابيات ولقد أجاد فيه وأحسن التورية وله كل معنى حسن[1].

ونعرف أن ذلك الولـد- من خلال ديوان الشاعر- كان يحب الشعر ويعشقه؛ ولذلك كثيراً ما وصلته رسائل شعرية من ابنه تـدل على شوق وحب وتقدير من ذلك الابن.

ولابن الخيمى مراث فى والديه تفيض أسى وتقطر حزنا كما أن له رثاء فى ابنته وبعض اصدقائه وهى مرات فى جملتها تدل على وفائه ورهافة حسه ورقة مشاعره[2] وابن الخيمى الذى بصدده هذه الدراسة هو غير المهذب الخيمى "محمد بن على بن على بن على المعروف بمهذب الدين الخيمى"[3] المتوفى سنة ٦٤٢هـ.

---

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان: جـ٢، ص١٠٦، ط دار صادر، بيروت، تحقيق د. إحسان عباس

(٢) انظر ديوان ابن الخيمى/ ورقة ١١ فى رثاء ابنته.
ورقة ٧١ فى رثاء والدته.
ورقة ١٢ فى رثاء ابن فارض.
ورقة ١٤ فى رثاء بعض أهله.
ورقة ٦٧ فى رثاء والديه

(٣) انظر فى ترجمة مهذب الدين الخيمى:
- بغية الوعاة فى طبقات اللغوين والنحاة: السيوطى، جـ١ ص١٨٤ ط العصرية بيروت.
- الأعلام: الزركلى، جـ٦ ص٢٨٢، ط دار العلم، سنة ١٩٨٦م.
والمهذب كما جاء فى هذه المصادر كان إماماً عالماً فى اللغة أديباً شاعراً ولـد سنة ٥٤٩هـ وتوفى سنة ٦٤٢هـ ولكن لم تذكر تلك المصادر أن له ديواناً مع أن المصادر التى ترجمت لصاحبنا شهاب الدين ابن الخيمى قد أكدت أن له ديواناً.

**ديوانه:**

ولصاحبنا ابن الخيمى ديوان شعر مازال مخطوطاً وقد حصل الباحث على نسخة منه[1] وهى التى تعتمد عليها هذه الدراسة، والملاحظ على هذا الديوان أنه:

١- يحمل فى الورقة الأولى عنوان "ديوان ابن الخيمى" وتأتى الورقة الثانية تحمل العنوان التالى"ديوان محمد بن على بن على بن على الأديب الكامل مهذب الدين الخيمى الحلى العراقى الشاعر ثم تأتى الورقة الثالثة وعليها هذا العنوان "ديوان الشيخ الإمام العالم القدوة المحقق شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمى.

وهنا يجد الباحث نفسه فى حيرة من الأمر متسائلاً: هل هذا الديوان لمهذب الدين الخيمى أم لشهاب الدين بن الخيمى؟

ولكن ثمة أدلة قاطعة تدل على أن هذا الديوان لصاحبنا شهاب الدين بن الخيمى محمد بن عبد المنعم المتوفى سنة ٦٨٥هـ، وليس لمهذب الدين الخيمى، ومن هذه الأدلة ما يأتى:

أ - التأكيد فى الورقة الرابعة من الديوان على أنه لشهاب الدين ابن الخيمى حيث يقول الناسخ "قال الشيخ الفقيه الإمام العالم الأوحد شهاب الدين محمد بن عبد المنعم".

ب- كل ما جاء من شعر لشهاب الدين ابن الخيمى فى المصادر التى ترجمت له موجودة فى الديوان ما عدا قصيدة واحدة وابياتاً من قصيدة تنازع عليها هو ابن اسرائيل.

جـ- لانجد فى الديوان بيتاً واحداً لمهذب الدين الخيمى من الأبيات التى ذكرتها المصادر له عند ترجمته.

هـ- إشارة الزركلى أن لشهاب الدين ابن الخيمى ديواناً من الشعر مخطوطاً منه نسخة نفيسة رأه- كما يقول- فى مكتبة فلورانس (رقم ١٨٦)[2].

هـ- إشارة بروكلمان أن لمحمد عبد المنعم بن الخيمى ديواناً له نسخة فى (فلورنسة١٩)

---

(١) النسخة التى حصل عليها الباحث مصورة من نسخة محفوظة فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة برقم ١٤٤٧ أدب.

(٢) الأعلام: الزركلى، جـ٦، ص٢٥٠.

وهناك قصيدة فى برلين/٧٧٨٢ رقم ٣ على حد قوله[١].

و - وورد اسم الشاعر ولقبه فى قصيدة ارسل بها إليه ناصر الدين بن النقيب[٢].

ز - لم تذكر المصادر أن مهذب الدين الخيمى كانت له علاقة بابن الفارض.

وهذا على عكس الشهاب بن الخيمى فلقد أكدت أن ثمة علاقة وثيقة ربطت بينه وبين ابن الفارض[٣].

وبهذا كله تثبت صحة الديوان الذى بين ايدينا إلى شهاب الدين بن الخيمى.

٢- وجود نقص فى بعض القصائد والدليل على ذلك أن القصيدة البائية التى تنازع عليها الشاعر مع ابن إسرائيل والتىمطلعها.

يامطلباً ليس فى غيره أرب ∴ إليك آل التقصى وانتهى الطلب

لم يرد منها إلا بيتان[٤].

٣- بعض الأبيات غير كاملة وخاصة فى الصفحات الأولى (من الصفحة الرابعة إلى التاسعة) ولكن يبدو أن هذا عيب قد وقع أثناء التصوير.

٤- وجود بعض الأبيات فى الهوامش الجانبية (من الصفحة الرابعة إلى الصفحة العشرين وكذلك من الصفحة السابعة والعشرين) وكثير منها غير واضح، ولهذا كله، فإن الديوان يحتاج إلى فحص وتدقيق وتحقيق وبذل جهد شديد فى هذا التحقيق.

---

(١) تاريخ الأدب العربى: كارل بروكلمان قسم ٣، جـ٥، ص٨٤.، ولم يستطع الباحث الحصول على هذه النسخ وإنما يستأنس برأى وأقوال الزركلى وبروكلمان.

(٢) سنشير إلى ذلك: أنظر الديوان، ورقة ٧٤.

(٣) والدليل على ذلك أن ابن الفارض قد حكم للشهاب بالقصيدة التى تنازع عليها هو وابن إسرائيل- انظر فوات الوفيات: جـ٣، ص٤١٤، والدليل أيضاً الرثاء الذى رثى به الشهاب صديقه ابن الفارض- انظر الديوان، ورقة ١٢.

(٤) الديوان ورقة ٨.

## حظ فن الإخوانيات فى شعر ابن الخيمى

لابن الخيمى شعر كثير يصل فى جملته إلى ثمانية وثلاثين وثمانمائة وألف بيت ويذهب هذا الشعر فى أغراض عديدة، ولعل الاحصائية التالية توقفنا على هذه الأغراض وعدد أبيات كل غرض ونسبتها إلى مجموع ما نظمه الشاعر وتوقفنا أيضاً على حظ فن الاخوانيات فى شعره.

| الفن | عدد القصائد والمقطعات والنتف | عدد الأبيات | نسبة ابيات الفن إلى مجموع ما نظمه الشاعر |
|---|---|---|---|
| المراسلات | ٦١ | ٥٣٧ | ٪٢٩,٢١ |
| الرثاء | ١٢ | ٢٧٦ | ٪١٥,٠٢ |
| الحجازيات | ٢٦ | ٢٦٨ | ٪١٤,٥٨ |
| التصوف | ٢٠ | ٢٦٨ | ٪١٤,٥٨ |
| المديح العام | ١٠ | ٢٠٠ | ٪١٠,٨٨ |
| الغزل | ١٨ | ١٠٧ | ٪٥,٨٢ |
| الوصف | ١٨ | ٥٤ | ٪٢,٩٤ |
| التشوق إلى الديار | ٧ | ٤٥ | ٪٢,٤٥ |
| الحكمة والشيب | ١٩ | ٤٢ | ٪٢,٢٩ |
| الألغاز والأحاجى | ٢ | ٣٠ | ٪١,٧٣ |
| الاعتذار | ٢ | ٤ | ٪٠,٢٢ |
| الشعر الحماسى | ٢ | ٤ | ٪٠,٢٢ |
| الهجاء | ١ | ٣ | ٪٠,١٨ |
| المجموع | ١٩٨ | ١٨٣٨ | ٪١٠٠ |

ومن خلال هذه الإحصائية يتضح لنا إلى أى مدى حظى فن الاخوانيات باهتمام الشاعر، فلقد شكل هذا الفن ما يقارب ثلث ديوانه وجاء على رأس الأغراض التى طرقها الشاعر.

ولعل هذا من أهم الأسباب التى حدت بالباحث إلى اختيار هـذا الموضـوع والـتركيز عليه دون الأغراض الأخرى.

## أغراض فن الاخوانيات فى شعر ابن الخيمى:

فن الإخوانيات لون من الشعر "يصور العلاقات الاجتماعية بين الشعراء وممدوحيهـم أو بينهم وبين اصدقائهم وأحبائهم ففيـه التهيئـة والاعتـذار وفيـه العتـاب والشـكوى وفيـه الصداقة والود، وما إلى ذلك من المعانى الاجتماعيـة الواسـعة التـى تربـط بعـض النـاس ببعض[1].

ومعنى ذلك أن هذا اللـون مـن الشـعر يذهـب فـى عـدة موضوعـات أو بمعنـى أخـر ينضوى تحت لوائه كثير من الموضوعات مثل "التهنئة والعتاب وقصائد الـود والصداقـة ثـم المساجلات الشعرية[2].

ويجـدر بالبـاحث قبـل الخـوض فـى هـذه الموضوعـات أن يقـدم إحصائيـة تبـين أهـم الشخصيات التىحظيت بإخوانيات الشاعر ومقدار الشعر الذى حظيـت بـه كـل شـخصية وتأتى هذه الإحصائية على النسق الآتى:

(١) فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين: د. مصطفى الشكعة، ص٣٨٢، ط عـالم الكتـب، بـيروت، سـنة ١٩٨١.

(٢) مطالعات فى الشعر المملوكى والعثمانى: د. بكرى شيخ أمين، ص ٢٨٨، دار العلـم، بـيروت، سـنة ١٩٨٦.

| الشخصية | عدد القصائد والمقطعات | عدد الأبيات | النسبة |
|---|---|---|---|
| والد الشاعر | ٢٠ | ١٦٤ | ٪٣٠,٥٤ |
| ابن خلكان | ٢١ | ١٢١ | ٪٢٢,٥٣ |
| معين الدين | ٤ | ٤٦ | ٪٨,٥٠ |
| عماد الدين | ١ | ٣٨ | ٪٧,٠٨ |
| ابن الطوسى | ١ | ٣٣ | ٪٦,١٥ |
| (مجهولون) | ٤ | ٣٠ | ٪٥,٥٨ |
| جمال الدين | ٣ | ٢٨ | ٪٥,٢١ |
| التيفاشى | ٢ | ٢٣ | ٪٤,٢٨ |
| ابن النقيب | ١ | ٢١ | ٪٣,٩١ |
| الفقيه شرف الدين | ١ | ١٤ | ٪٢,٦١ |
| ابن باخل | ١ | ٩ | ٪١,٦٨ |
| ابن السنجارى | ١ | ٧ | ٪١,٣٠ |
| النابلسى | ١ | ٣ | ٪٠,٥٦ |
| المجموع | ٦١ | ٥٣٧ | ٪١٠٠ |

هذا ومما يسترعى نظرنا من أغراض هذا الفن عند ابن الخيمى ما يأتى:

**١- الشوق والحنين:**

شغل هذا النوع من الشعر الجانب الأكبر من إخوانيات ابن الخيمى وأكثر الشخصيات التى حظيت بذلك والده وابن خلكان، وهو فى رسائله إلى والده يظهر الحب والتقدير والاحترام،ويقدم فروض الولاء والطاعة والشكر.

ويدعو له بموفور الصحة وتمام العافية، ويمدحه بخصال طيبة،ويخلع عليه خصالاً غاية فى المثالية فهو القدوة للعالم والعابد وهو المنهل العذب لوارده، والعلم الذى يهتدى به كل امرئ، وذلك ما نلمحه فى قوله الذى كتب به إلى والده:

يا قدوة العالم والعابد ∴ ومشهد الغايب والشاهد

يـــا منهـــلاً عذبـــاً لـــوارده ∴ يـــا روضـــة غنـــاء للـــرايد
يـا علمـــاً يهـــدى لنهـــج الهـــدى ∴ كـــل أمـــرئ عـــن نهجـــه حـــائد
يـــا مخلصـــاً لم يبـــق مـــن مطعـــن ∴ فـــى قولـــه والفعـــل للنـــاقد[1]

ويظهر لنا فى رسائله لوالده الحب الشديد الذى يصل إلى حد إعلان التضحية بنفسه وروحه من أجله لو اصيب ذلك الوالد بمكروه أو مس بسوء، وذلك كما نرى فى قوله:

روحـى فـداؤك إن رضيـت فدائـى ∴ مـــن جملـــة الأدواء والأســـواء
حاشـا لجسـمك ان يصـاب بمـؤلم ∴ حتـى صفـاك يصـاب بـالإقداء[2]

وغالباً ما تمتزج مكاتباته الشعرية إلى والده بحرارة الشوق وتنبعث منها عواطف الحنين الجارف،وهذا ما نشعر به فى قوله:

أتـــرى لـــداء صـــابتى إبـــلال ∴ ولذلـك الصـدر الصـدى بـلال
وعلـى الحقيقـة مـا يـزال تعطشـى ∴ أبـداً ولـو أن الغـرام وصـال
مـازلت صبا فى الدنو وفى الأسى ∴ متشـــوقاً لكـــم ولســـت أزال
ويزيدنـــى لكـــم تعـــاليل المنـــى ∴ شـــوقا فمـــن آلامـــى الآمـــال
وأكـاد شـوقاً ان أطـير إليكـم ∴ لكـن علـى مـن الجـوى أثقـال
ويضيق بى رحـب الفضـاء وإننـى ∴ ممـا نحلـت كأنمـا أنـا آل[3]

لقد ذهب به الجوى وأنحله الشوق حتى لكأنما صار كالسراب وهو دائما ما تطير به الأشواق فيعلل نفسه بأمنية اللقاء لعله يستريح من ألم الفراق حينما يجمع شمله بأبيه وهنا يبل أوام شوقه الصادى وتنقع غلة صبابته المتعطشة إلى والده، ولذلك يقول:

(١) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٥٦-٥٧ والأدبيات على بحر السريع.
(٢) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٢٧ والبيان على بحر الكامل.
(٣) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٥٨ والأبيات على بحر الكامل.

يا نازحاً ألف البعاد لقد جرى ∴ من أدمعى ومن التباعد ما كفا
ولئن شكوت فما شكوت تسخطاً ∴ بقضاء حبك بل لكى تتعطفا[1]

ويقول:

رحلتم فلا ظل العشيات بارد ∴ لدى ولا ماء يبل أوامى[2]

ويقول:

لولاك ترضى بالفراق وصنعه ∴ لشكوت منه إليك ما ألقاه
ياليت شعرى هل يعود كعهده ∴ زمن هواك به الذى أهواه[3]

وكثيراً ما يرسل إليه بالسلام العذب المحمل بالأشواق والتحيات الرقيقة المضخمة بعبق الحنين فهو المضنى الذى يعانى من حرقة الأشواق التى لايطفأ أوراها إلاّ حينما يمن عليه الزمن بلقاء والده حقيقة أو على الأقل بلقائه طيفاً هلامياً شفافاً رقيقاً كما نرى فى قوله:

تحية كنسيم البان واصلة ∴ إلى فريق بذات البان نزال
رضاهم واقترابى منهم أربى ∴ أسعى اليهم بأشواقى وآمالى
وما اشتياقى إليكم عن مفارقة ∴ وإنما عم شوقى كل أحوالى
مستقبل الوصل والماضى أحن إلى ∴ كليهما مع أنى منه فى الحال[4]

وقوله:

سلام دائم كدوام عهدى ∴ جديد مثل أشواقى ووجدى
لطيف ليس يمنعه حجاب ∴ قريب ما عليه يد لبعد[5]

(١) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٣٨، والبيتان على بحر الكامل.
(٢) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٧٧ والبيت على بحر الطويل.
(٣) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٣٦، والبيتان على بحر الكامل.
(٤) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٧٧، والأبيات على بحر البسيط.
(٥) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٣٧ والبيتان على بحر الوافر.

ومن علامات شوقه إلى والده تلك الدموع التى يذرفها، والعبرات التى يسفحها وبالإضافة إلى ذلك الهموم التى تعتريه خشية أن يكون والده قد سلاه أو نسيه، وهذا ما تراه فى قوله:

للقاك أسدلت الهموم لياليا ∴ للقاك أجلو ناظرى بدموعى[1]

ونشعر به فى قوله:

ماذا أبث اليكم مما غدا ∴ حكم الزمان به على وراحا
أقول إنى قد بكيتكم دما ∴ حتى كان بمقلتى جراحا[2]

وهو فى رسائله يتمنى ألا يحرمه الله من والده فهو قرة عينه ومبعث بهجته وهو أحسن الناس وأفضلهم فى نظره حيث يقول:

لا أعدم الله عينى منك قرتها ∴ يا أحسن الناس حسناً غير مجلوب
وأكثر الناس جوداً غير مفتعل ∴ وأفضل الناس عزماً غير مغلوب[3]

والحق أن هذا الشوق الجارف والحنين الفياض لانجد له نظيراً فى مراسلاته إلى أصدقائه فلقد غلبت على مراسلاته إلى ابيه حرارة العاطفة وصدق الإحساس، وفاح منها الحب العميق والإخلاص والوفاء الشديد إذ ثمة فرق بين النماذج السابقة وبين قوله لابن خلكان:

لئن قضت الأقدار بالبعد بيننا ∴ فما أنا بالسالى هواكم ولا الناسى[4]

(١) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٧٧ والبيت على بحر الكامل.
(٢) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٣٧، والبيتان على بحر الكامل.
(٣) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٥٧، والبيتان على بحر البسيط
(٤) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٤٧، والبيت على بحر الطويل.

وقوله لمعين الدين

يا من نأوهم عندى كما علموا ∴ كيف السبيل لرد العيش بعدكم[1]

وذلك شئ طبيعى إذ لايمكن أن تصل درجة الصدق العاطفى وعمق المشاعر فى راسلاته لأصدقائه، كما وصلت فى مراسلاته إلى والده.

**٢- التهنئة:**

يرى بعض النقاد أن التهنئة نوع من المدح، ولكن ثمة فرقاً بينهما وهو أن التهنئة "تقال فى مناسبات خاصة كالإبلال من المرض أو لمناسبة عيد أو النجاة من مكروه أو غير ذلك من المناسبات المشابهة وأما المديح فإنه غير مقيد بمناسبة أو زمان"[2].

ويحتوى شعر التهنئة غالباً على تقديم فروض الشكر والامتنان كما يشمل على الدعاء والابتهال بأن يمن الله على المهنأ بالخير والسعادة ودوام الصحة والعافية وطول البقاء.

والحق أن شعر التهنئةما هو إلاّ محاولة لإظهار المشاركة الوجدانية فى المناسبة التى تمر بالصديق أو الموقف الذى يعايشه المهنأ، وفيه يكثر المديح والإطراء، وذلك ما نراه فى قول ابن الخيمى وهو يهنئ ابن خلكان وقد أعيد إليه حكم قليوب:

إن المناصب لو تقول لأفصحت ∴ لكم بحسن تعبد وولاء
وشكت إليكم مما ألم بها لدى ∴ هجرانكم من شدة البرحاء
ولو أنها تسعى لنيل مرادها ∴ جاءتكم تمشى على استحياء[3]

---

(١) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٦٦، والبيت على بحر البسيط.

(٢) فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين، ص٣٨٢.

(٣) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٥، والأبيات على بحر الكامل، والملاحظ أن ابن الخيمى قد استلهم فى البيت الأخير الآية القرآنية التى يقول فيها رب العزة: "فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا" سورة القصص، آية ٢٥.

فهو يرى أن المناصب هى التى أعيدت له لا هو الذى أعيد إليها فهى قد تعشقته وأحبته ولقد كانت فى غاية البرحاء حينما كانت بعيدة عنه، ولو أن هذه المناصب كانت تسعى إلى مرادها لجاءت إلى ابن خلكان وهى فى غاية من الخجل فهو أكبر منها وأجل.

ويلاحظ هنا أن ابن الخيمى قد استطاع أن يتلاعب بالمعانى تلاعباً وأن يولد الصور ويستلهم القرآن الكريم وينمق الألفاظ مما يدل على مقدرته الفنية وبراعته الشعرية.

ومن النماذج التى يكثر فيها المديح والثناء قوله الذى بعث به إلى ابن خلكان يهنئه فيه بعيد الفطر، وفيه أيضاً يظهر ذلك التلاعب بالمعنى وتوليد الصور:

يا سيداً طاب أصلاً ∴ وفاق علماً ومجداً
يا جامع الفضل حتى ∴ قد أعجز الوصف عداً
تهن عبداً سعيداً ∴ أتاك يزداد سعداً
لو كان يفصح نطقاً ∴ لقال والصدق أجدى
عيد أنا غير أنى ∴ لذا الإمام المفدى
جعلت رسمى خضوعاً ∴ فصرت أن ارضى عبداً[1]

وقوله الذى يهنئ فيه ابن خلكان بعيد الفطر أيضاً:

تصوم شهر الصيام الذى ∴ أناك فسددت خلاته
وقد جاءك العيد لولاك لم ∴ تتم محاسن هيئاته
أطال لك الله حسن البقاء ∴ بلذاته وسعاداته
ولا زال يهدى إليك الزمان ∴ محاسن سايرأوقاته[2]

فهو فى النموذج الأول ينهئ ويمدح ويثنى على ابن خلكان فهو صاحب الأصل العريق والأرومة الطيبة وهو العالم الفذ الذى فاق غيره علماً ومجداً وجمع الفضل كله إلى

(١) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٤٧، والأبيات على بحر المجتث.
(٢) ديوان ابن الخيمى/ورقة ٤٩، والأبيات على بحر المتقارب.

درجة أن الوصف يعجز عن تعداد مناقبه ويقف حائراً أمام ذكر شمائله.

وفى النموذج الثانى تمتزج التهنئة بالدعاء لابن خلكان بطول البقاء وأن يعيش حياة كلها سعادة وبهجة.

ولا يلاحظ على تهانى ابن الخيمى أن اغلبها- إن لم يكن كلها- قد بعث بها إلى ابن خلكان الذى يبدو أن صداقة حميمة وعلاقة متينة قد جمعت به فآثره على غيره بهذه التهانى إذ لم يكد يترك مناسبة تمر بابن خلكان إلاّ هنأه ومدحه ودعا له.

ولعله كان يقصد من وراء ذلك الظفر بود ابن خلكان ذلك القاضى المعروف الذى تقلد عدة مناصب[1]، وربما شهرة ابن خلكان فى الأدب- فلقد كان أديباً ماهراً- وإحساس ابن الخيمى أن ابن خلكان هو الذى يقدو مكانته ويعرف منزلته الأدبية ويعزف ما لشعر ابن الخيمى من قيمة قد دفع بالشاعر إلى أن يؤثر ذلك القاضى الأديب على غيره بتلك التهانى، كما آثره على غيره من الأدباء والشخصيات المعروفة فى عصره بكثير من مراسلاته وقصائد وده.

**٣- المواساة:**

المواساة نوع من المجاملة الرقيقة ومحاولة لمسح الدموع والأحزان وتخفيف الآلام عن الصديق،وفيها لانشعر بتكلف أوزيف أو نفاق وإنما نحس بالمشاركة الرقيقة، والمحبة والصداقة والألفة وحرارة العاطفة ودفء المشاعر الأخوية، وصدق الكلمة والأدب الجم، والخلق الرفيع، وهذا ما نلمسه فى قول ابن الخيمى، وهو يواسى ابن خلكان فى مرضه:

يـــا كـــاملاً فـــى خلقـــه ∴ لم يخـــل مـــن خلـــق كريـــم
لا بـــأس فيمـــا قـــد ألم ∴ وزال مـــن مـــرض ســـقيم
حاشـــا لنفســـك أن يلـــم (م) بجســـمها غـــير النعيـــم

(١) من المناصب التى تولاها ابن خلكان نيابة القضاء فى مصر وقضاء الشام، انظر حسن المحاضرة، جـ١، ص٥٥٥.

وتولى حكم قليوب- انظر ديوان ابن الخيمى ورقة ٥.

لكـــن نفســـك بـــالعلا (م) شـغلت عـــن الجســـم الكريـــم
فنهـــن صحتـــك التـــى ∴ صحـت بهـا كـل الجسـوم[1]

فهو يواسيه ويحاول أن يخفف عنه بعض ما يعانيه من سقم، ولا ينسى أن يدعو له بالصحة، ولا يغفل فى خلال ذلك كله أن يثنى عليه ويمدحه معبراً عن إخلاصه ووفائه وألمه لما اصاب صديقه.

**٤- الاعتذار:**

الاعتذار من الفنون الشعرية القديمة فلقد وجد منذ العصر الجاهلى، وهو فن نحس فيه التطلف فى القول والرقة فى الكلمة، وفيه يلح الشاعر على التنصل مما نسب إليه محاولاً تقديم المعاذير معتمداً على رصيد الصداقة ومخزون المودة.

وقد لجأ ابن الخيمى فى اعتذاراته إلى مثل ذلك فهو يبرر ويفسر حتى يقنع صديقه بالسبب الذى من أجله كانت الهفوة لعل هذا الصديق ينسى تلك الهفوة ويقبل عذره، وذلك كما نرى فى قوله وقد ترك وداع أحد أصدقائه:

لا أحب الوداع من أجل كونى ∴ ما رأيت الوداع إلاّ لبين
لست ما عشت راغباً فى وصال ∴ فاصل بين من أحب وبينى[2]

وهو أيضاً يعلن فى تلك الاعتذاريات وفاءه لصديقه،ويؤكد أن عهود الود القديم باقية وذلك كما نرى فى هذا الاعتذار المقدم لصديقه ابن باخل الذى كان يلم به ويزوره ويتردد عليه، وأما صاحبنا فقد انقطع عن زيارة ذلك الصديق، يقول مخاطباً ابن باخل:

إن نـأت بـى عـن الزيـارة نيـه ∴ فعهـود الـود القديـم وفيـه
ودنـا لايـزول إذ هـو ود ∴ فرعتـه تلـك الأصـول الزكيـة[3]

---

(١) ديوان ابن الخيمى، ورقة ٥٠، ٥١، والأبيات على مجزء الكامل.

(٢) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٣٧، والبيتان على بحر الخفيف.

(٣) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٧٢، ٧٣، والبيتان على بحر الخفيف.
وابن باخل هو: "محمد بن باخل الأمير شمس الدين بن عبد الله الأموى" ولم يزد السيوطى فى تعريفه على ذلك- حسن المحاضرة، جـ١، ص٥٦٩.

### ٥- الرجاء والاستعطاف:

يلجأ الشاعر- عادة- إلى الرجاء والاستعطاف من أجل أمنية أو منفعة يريد أن يحققها، وهو يعتمد فى ذلك على جانب الملاينة والملاطفة.

ولكن الملاحظ أن ابن الخيمى لم يلجأ لذلك من أجل غرض مادى أو منفعة شخصية يريد قضاءها أو من أجل مال يبغى الحصول عليه وإنما الاستعطاف عنده كان من أجل إعادة حبل الود ورباط الصداقة وعودة زمن حميدة ايامه، جميلة كانت لياليه كما يقول فى هذا الاستعطاف الموجه إلى معين الدين:

لعل زمان الرضا أن يعودا ∴ ويرجع عيشاً تقضى حميدا
ويحظى ببشرك طرفى الذى ∴ منعت فعلمته أن يجودا
أيا من تمادى على هجره ∴ رويداً على ضعف قلبى رويدا[1]

### ٦- الشكر والتقدير:

الشكروالتقدير اعتراف بالفضل والجميل، ودلالة على الوفاء والأصالة وعدم النكران والجحود، والمتقدم بالشكر يريد أن يعلن أنه لاينسى ما اسدى اليه، وفى الوقت نفسه يقدر صاحب الفضل والصنيع.

والحق أن ابن الخيمى لاينسى- فى هذا اللون من الشعر- أن يبعث بقصائد شكر وامتنان لأصدقائه جزاء صنيعهم معه فهو دائماً يتذكر فضلهم ومواقفهم الكريمة، وغالباً ما يمزج شكره بدعواته لهم ومديحه إياهم وهذا عين ما نراه فى قصيدة نظمها يشكر فيها الفقيه شرف الدين لما عاده فى مرضه يقول فيها:

زرتنى يا خير مولى نعته ∴ فسما قدرى لاشك وشائى
أنت أفعالك لله فلا ∴ غرو أن عدت فقيراً ذا هوان
لا عداك الخير والتوفيق يا ∴ عمر الخير المجازى بالجنان[2]

---

(١) ديوان ابن الخيمى، ورقة ٦٥، ٦٦، والأبيات على بحر المتقارب.

(٢) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٢٢، والأبيات على بحر الرمل.

وهذه أبيات أخرى من قصيدة شكر بعثها إلى القاضى شرف الدين محمد بن عين الدوله يودعها امتنانه على أن شرف الدين قد شكره فى مجلسه يقول فيها:

إمام إذا ما حاول المرء مدحه ∴ يحاول أمرا لاينال له مدى
فلو رامه قس قسالين نطقه ∴ من العجز منه أو لبيد تبلدا
غدا من أجل الناس قدراً ومنصبا ∴ وأظهر آيات وأظهر مؤلدا
وما زال فى أهل العبادة واحداً ∴ فأى مكان حله كان معبداً[1]

والقصيدة طويلة يغلب عليها المدح كما نرى فى هذه الأبيات، وفيها يختلط الشكر بالشوق وأمنية القرب بالدعاء، وهذا ما يتضح فى قوله:

أحن إليه مخلص الود والولا ∴ ويمنعنى الإخلاص أن أترددا
أحاول منه القرب زلفى لعلنى ∴ أفوز به الفوز المبين وأسعدا
وما زلت تدنينى إليك مودتى ∴ وإن كنت بالإجلال مقصى ومبعداً
ولكن أروم اليوم قربك قربة ∴ أفوز بها حتى افوز بها غداً
أدام لك (ا لله) السعادة والرضا ∴ عليك وعزا فى المحلين سرمدا[2]

وعلى هذه الشاكلة مضى يشكر شيخ الشيوخ عماد الدين أيضاً مازجاً هذه المعانى كلها من مدح ودعاء وشوق وحب وأمنية قرب وذلك عندما علم أنه أثنى عليه، يقول ابن الخيمى:

والقلب فى النار والأجفان هاطلة ∴ ولا تظنن دمعى للحريق طفا
ولا تسل عن صباباتى وعن قلقى ∴ إذا الحمام على باب الحمى هتفا
شيخ الشيوخ إمام العصر أوحده ∴ أخو السلاطين والأنواء والخلفا
أهلاً به قادماً والسعد يقدمه ∴ كالشمس إذ طلعت والغيث إذ وكفا

---

(١) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٦٠، ٦١، والأبيات على بحر الطويل.
وواضح هنا الإشارة إلى قس بن ساعدة الإيادى والإشارة إلى الشاعر لبيد بن ربيعة.

(٢) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٦١، ٦٢، والأبيات على بحر الطويل، وقد وضعت لفظ الجلالة فى البيت الأخير ليستقيم الوزن.

لقد شغفت بـه حباً وهـل أحـد ∴ رآه قلبـى أو بعـدى ومـا شـغفا
ولسـت أهـلاً لـترادى بمجلسـه ∴ لكننـى لم أجـد لى عنـه منصرفـا
مولاى مدحك أعلى أن اقـوم بـه ∴ فجـد بعفـو ورضـوان كمـا عرفـا
وآخـر الأمـر أنـى لا أزال كـذا ∴ على الدعـاء لكـم والشـكر معترفـا[1]

## ٧- الزهو والفخر:

الفخر من الأغراض الشائعة فى الشعر العربى، ولشعر ابن الخيمـى نصيب منه، ولا غرابة فى هذا فحب الثناء طبيعة الإنسان.

ومن عناصر الفخر فى الشعر العربى التباهى بالعلم والثقافة والتغنى بالبلاغة والفصاحة والإشادة بالبراعة الشعرية والمقدرة الفنية.

ولقد توفر هذا العنر فى تلك المساجلات التى دارت بين ابن الخيمى وإخوانه من الشعراء. ثم، إن المساجلات لون من ألوان الشعر الإخوانى الذى يدور بين صديقين شاعرين "يحرص فيها كل منهما على أن يتفق مع صاحبه فى البحر والقافية والروى[2]، والباحث عن هذا اللون فى شعر ابن الخيمى بهذه الشروط لايجد إلاّ ثلاث مساجلات: الأولى فى الرد على شرف الدين أبن الطوسى وهو يستهلها بقوله:

حبـذا وارد صفـا ∴ وحبـاً ظلـه صفـا[3]

وكان شرف الدين ابن الطوسى قد كتب إليه قائلا:

أيهـا السـيد الـذى ∴ قولـه للـورى صفـا[4]

(١) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٦٢- ٦٣، والأبيات على نحو البسيط.
(٢) فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين، ص٤٠٣.
وانظر: مطالعات فى الشعر المملوكى والعثمانى، ص٢٨٩.
(٣) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٧٣، والقصيدة على مجزوء بحر الخفيف.
(٤) ديوان ابن الخيمى، ورقة ٧٣، والقصيدة على مجزوء بحر الخفيف.
- ولم أعثر على ترجمة لابن الطوسى.

وكما نرى فى القصيدة الثانية التى بعث بها إلى ناصر الدين بن النقيب والتى يقول فى مطلعها:

حبذا والحال داجى الظلم ∴ وهمومى قد أماتت همممى
طارقاً أهدى عروساً حسنها ∴ يجتلى فى حليها المنتظم[1]

وكان ابن النقيب قد أرسل إليه يقول:

أنا عبد لابن عبد المنعم ∴ وله فى كل نصر أنتمى[2]

وأما الثالثة فهى التى يجيب بها على شرف الدين أحمد التيفاشى والتى يبدؤها بقوله:

لما علمت بما ألقى من الوصب ∴ بعثت لى عوذة علقت من الكرب[3]

وأما قصيدة التيفاشى فهى المستهلة بقوله:

---

(١) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٧٥، والقصيدة على بحر الرمل.

(٢) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٧٤، والقصيدة على بحر الرمل.
وهذه القصيدة من الدلائل التى تثبت صحة الديوان إلى الشهاب بن الخيمى.
"وابن النقيب هو "الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن.... ناصر الدين ابن النقيب الكتانى... قال الشيخ أثير الدين أبو حيان: كان نظمه حسناً، ت سنة ٦٨٧هـ، وهو أحد فرسان تلك الحلبة الذين كانوا من شعراء ذلك العصر، انظر فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، مجلد ١، ص ٣٢٤.
وقد ترجم له السيوطى باقتضاب فى حسن المحاضرة جـ١، ص٥٦٩.
يقول عنه: من مشاهير الشعراء مات فى ربيع الأول سنة ٦٨٧ عن تسع وسبعين سنة وانظر تاريخ الأدب العربى "عصر الدول والإمارات" د. شوقى ضيف، ص٣٣٢,، ط دار المعارف، سنة ١٩٨٤.

(٣) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٧٦، والقصيدة على بحر البسيط.

بقيت للفضل تحييه وللأدب ∴ ونالنا عنك ما تشكو من الوصب[1]

وتدور فكرة القصيدة التي بعث بها ابن الطوسى إلى ابن الخيمى حول سؤاله عن العشق الذى اصيب به،ويبدو أن عشق إلهى،ويرجو أن يفتيه ابن الخيمى فى هذه القضية التى صار منها "على شفا" ويسأل هل إذا رأى الإنسان نفسه يستلم الحطيم والبيت والركن والصفا- هل هذا تحيف أم أنه جائز فى مذهب التصوف وشرعه الحب إذ يقول:

أفتنى فى قضية ∴ أنا منها على شقا
أترى فى شريعة الـ ∴ حب هذا تحيفا
أم على مذهب التصو ∴ ف وقت الصفا صفا[2]

ثم ينتقل بعد ذلك إلى المديح والدعاء فيقول:

يا إماماً به اقتدى ∴ من إليه تعرفا
حزت فضلاً وسؤددا ∴ فتجاوزت أحرفا[3]

وتصل جملة هذه القصيدة إلى خمسة عشر بيتاً بينما تصل قصيدة ابن الخيمى التى يرد بها على هذه القصيدة إلى ثلاثة وثلاثين بيتاً، وفيها يفتيه بأن ذلك الذى

(١) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٦٧، والقصيدة على بحر البسيط.
وأحمد التيفاشى هو" أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبى بكر بن حمدون شرف الدين القيسى التيشفاشى.. - غزير العلم بالأدب، من أهل تيفاش، من قرى قفصة بإفريقيا، ولد بها وتعلم بمصر وولى القضاء فى بلده ثم عاد إلى القاهرة، وتوفى بها. انظر الاعلام- الزركلى ص٢٧٢
ويذكر الزركلى أن مولد التيفاشى كان سنة ٥٨١هـ ووفاته كانت سنة ٦٥١هـ. وهناك بحث ضاف عن التيفاشى وكتابه سرور النفس للأستاذ الدكتور/ محمد زغلول سلام فى كتابه الأدب فى العصر الأيوبى، ص٢٨١، ط منشأة المعارف، سنة ١٩٩٠.

(٢) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٧٣.

(٣) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٧٣.

رآه ما هو إلاّ إشارات عارف وحالة من التصوف قد ألمت به، فيقول:

وإشـــــارات عـــــارف ∴ ظـــاهرات مـــع الخفـــا[1]

ويأخذ قبل الخوض فى بقية الفتيا- فـى مـدح قصيـدة ابـن الطوسـى حيـث يقول:

لبســـت مـــن بديعهـــا ∴ بـــرد زهـــر مفوفـــا
وبـــدا نـــور نورهـــا ∴ فحـــذار أن يخطفـــا
يالهـــا تحفـــة جـــزى اللـــ ∴ ـــه خـــيراً مـــن اتحفـــا[2]

ويسترسل بعد هذا فى تفاصيل فتواه فيعلن لصاحبه أن من صاغه الغرام إلى حالة الخفاء ورأى نفسه طائفاً بالبيت فهو فى حالة صفاء مع الذات الإلهية كما يقول:

إن مـــن صاغـــه الغـــرا ∴ م إلى غايـــة الخفـــا
فبـــه البيـــت زائـــر ∴ وبـــه قـــد تطوفـــا
وإنـــه الكـــل راجـــع ∴ وإنـــه العيـــش قـــد صفـــا
وهـــو فـــى كـــل حالـــة ∴ صـــاحب الصـــدق والوفـــا[3]

ويشير بعد ذلك إلى أن المحب قد يعانى من القرب والنوى والوصل والجفا والذل والضنا ولكن رب الجمال أهل إذا جاد أو عفا وهذا ما نراه فى قوله:

عندهـــا القـــرب والنـــوى ∴ ولهـــا الوصـــل والجفـــا
وهـــى الـــذل والضنـــا ∴ ولهـــا العـــز والشـــفا
إن رب الجمـــال أهـــل ∴ إذا جـــاد أو عفـــا[4]

(١) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٧٣.
(٢) ديوان ابن الخيمى/ ورقة ٧٣، ورقة ٧٤.
(٣) ديوان ابن الخيمى، ورقة ٧٤.
(٤) ديوان ابن الخيمى، ورقة ٧٤.

وأما القصيدة التى أرسل بها إليه ابن النقيب فتدور حول عدة افكار أهمها إظهار حبه الخالص لابن الخيمى، ذلك الحب الذى خالط روحه وامتزج بلحمه ودمه ثم ينتقل بعد ذلك إلى مديح ابن الخيمى، وإظهار فضله الذى يشبه نور الشمس ويتمنى أن لو يرسل إليه ابن الخيمى بشعره ليشرف به، وهذه الأفكار تتجلى فى قوله:

حبه خالط روحى فغدا ∴ وهو ممزوج بلحمى ودمى
ياشهاب الدين يا من فضله ∴ مثل نور الشمس أو كالعلم
فضل هذا العشر فضل ظاهر ∴ فتصدق فيه وأفضل وأنعم
بقريض منك لى تكتبه ∴ عربى معجم للفهم
لأرى شعرك عندى وارى ∴ حظك المنسوب لى بالقلم[1]

وقصيدة ابن النقيب تبلغ اثنى عشر بيتاً، بينما تبلغ قصيدة ابن الخيمى التى يرد بها على ابن النقيب واحداً وعشرين بيتاً وهو يمدح بدايتها طارقاً أهدى إليه عروساً حسناً: أذهبت بأنوارها داجى الظلم وأزاحت عنه حالاً من الهموم التى أماتت هممه، وهو يقصد بتلك العروس قصيدة ابن النقيب التى أعادت له روحه وصباه ونال بها رفعة وشرفاً وأطربته من غير صوت وافصحت بلا فم وصار طرسها كالسماء التىزانتها زهر الأنجم، يقول ابن الخيمى:

حذا والحال داجى الظلم ∴ وهمومى قد أماتت همممى
طارقاً أهدى عروساً حسنها ∴ تجلى فى حليها المنتظم
يالها من رقعة نلت بها ∴ رفعة أغلت وأعلت قيمى
أطربت من غير صوت مثلما ∴ أفصحت من غير نطق بفم
طرسها أضحى سماء زانها ∴ من معانى الحظ زهر الأنجم[2]

(١) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٧٤، ورقة ٧٥.

(٢) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٧٥.

لقد أدخلت تلك القصيدة على نفسه السرور وملأته بالبشر والحبور،ويعلن أنه ما كان أهلاً لها، ويرى أن الشكر واجب لمن أرسلها، وأنه هو العبد له ثم يختمها بالدعاء لابن النقيب بأن يرقى أعلى الرتب ويبقى مولى النعم، وهذه المعانى تظهر فى قوله:

وسرور النفس منها دايم ∴ ومن الراح سريع العدم
جنة علياء وكم عين بها ∴ هى ينبوع عيون الحكم
لم أكن أهلاً لها حتى لقد ∴ خلت وجدى بلقاها موهمى
واجب شكرى لمن ارسلها ∴ ومن الواجب شكر المنعم
أنا عبد لك فقد كاتبتنى ∴ عالما بى الخير أو لم تعلم
وأرق أعلى رتب عن رتب ∴ وابق مولى نعم فى نعم[1]

وأما القصيدة التى بعث بها أحمد التيفاشى إلى ابن الخيمى فعدد ابياتها ثمانية وهى تدور حول الدعاء لابن الخيمى بأن يبقى للفضل وللأدب يحيهما ويتمنى أن لو ناله ما نال ابن الخيمى من الوصب والمرض، وإذا كان ابن الخيمى قد غاب عنه بجسمه فما هو إلاّ كبدر قد غاب فى سحب ويرى أن لحمة الأدب بينهما كلحمة النسب ومنه يستمد العون إذ هو كالحيا الذى ينتظره ظامئ العشب، ثم يختم القصيدة بالدعاء له بطول البقاء، ومثل هذه الأفكار نستقرؤها فى قولها:

بقيت للفضل تحييه وللأدب ∴ ونالنا عنك ما تشكو من الوصب
ما كنت إلاّ كبدر غاب فى سحب ∴ ثم انجلى مشرقا والذم للسحب
فامدد بعقلك عقلاً يرتجى مددا ∴ كما يرجى الحيا ظام من العشب
بقيت كالشمس تستهدى بها ∴ فكر ضلت فظلت من الاذكار فى

وقد ارسل ابن الخيمى بقصيدة يرد فيها على أحمد التيفاشى يصل عدد ابياتها إلى

(١) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٧٥.
(٢) ديوان ابن الخيمى: ورقة ٧٦.

أحد عشر بيتا يضمنها مجموعة من الأفكار أهمها أن قصيدة التيفاشى كانت بالنسبة له اشبه بعوذه علقها من الكرب، ثم يأخذ فى مدح الفاظها والثناء علىمعانيها وفصاحتها وأن ذهنه قد استنار بها لما فهم تلك المعانى ويعلن أنه شرف بالولاء للتيفاشى وأن نسبة الود عنده أشرف النسب ثم يدعو له بأن يلبس حلل المحاسن بلا نصب،وهذا ما نراه فى قوله:

لما علمت بما القى من الوصب ∴ بعثت لى عوذة علقتها من الكرب
ألفاظها والمعانى فى لطافتها ∴ والنظم كالماء والصهباء والحبب
كاتبتنى والحق يعجزنى فلا ∴ أزال لكم قنا مدى الحقب
لقد شرفت بودى والولاء لكم ∴ ونسبة الود عندى أشرف النسب
لازلت ياجامعى الآداب تلبس أثـ ∴ واب المحاسن كلا غير ذى نصب[1]

والملاحظ علىمساجلات ابن الخيمى أنها تتفوق على نظائرها فى قوة اللفظ وإحكام العبارة والصياغة ومتانة الأسلوب وغزارة المعنى وجمال الصورة وطول النفس.

والحق أن هذه المساجلات تكشف لنا عن روح الإخاء والصفاء التى كانت تظلل العلاقة بين ابن الخيمى وإخوانه من الشعراء، وتدل على مكانته لديهم وتقديرهم إياه، كما تدل على مقدرته على التلاعب بالألفاظ والتصرف فى المعانى.

لقد حاول ابن الخيمى – فى تلك المساجلات– أن يبرز ويتفوق ويزهو على اقرانه وكان هذا أدعى إلى إجهاد نفسه وإتقان فنه، ولا غرابة فى ذلك فهو واحد من شعراء مصر– فى ذلك العصر– الذين تباروا بتلك المساجلات التى كانت "سبباً فى أن يجهد الشاعر نفسه لإجادة فنه وإتقان شعره بأن يحاول اختراع شئ من المعانى الجديدة أو الصور المبتكرة أو إجادة تشبيهاته وكناياته إلى غير ذلك من ألوان المحسنات البيانية والبديعية[2].

(١) ديوان ابن الخيمى، ورقة ٧٦.

(٢) دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين، د. محمد كامل حسين، ص ١٧٢.

وقد أدت هذه المساجلات إلى نوع من المنافسة بين الشعراء مع الاحتفاظ بروح الاخوة والصداقة، هذه المنافسة التى افادت الشعر وأكسبته نوعاً من الابتكار والتجديد، ويكفى القول بأن هذه المساجلات ما هى إلاّ "لون من الشعر الجميل الفريد فى بابه"[1]، والذى جعل الفن الشعرى يشهد تطوراً حقاً وتجدداً رائعاً وطفرة إلى الأمام ان دلت على شئ فإنما تدل على سعة الأفق واتساع نواحى الحياة الأدبية.

## خاتمة ونتائج

١- من الملاحظ ان الباحثين عندما يدرسون أثر العلاقات بين الأدباء والأصدقاء فإنهم يركزون على النتاج النثرى، ولكن هذه الدراسة وجهت همها إلى النتاج الشعرى الذى لا يُعبا به كثيراً، وهو نتاج متعدد الأغراض، متنوع الموضوعات، معبر تعبيراً صادقاً عن نفسية الشاعر وعلاقته بإخوانه من الشعراء، وهذا ما برز جلياً فى شعر الإخوانيات عند شاعرنا "شهاب الدين بن الخيمى".

٢- يقف شعر الإخوانيات عند ابن الخيمى على رأس الفنون الشعرية التىطرقها إذ يمثل ما يقرب من ثلث الديوان.

٣- يتسم هذا النوع من الشعر عند ابن الخيمى بالصدق والصراحة والبعد عن القتامة النفسية، كما يتسم بالإطراف والإمتاع، وفيه تظهر براعة ابن الخيمى الفنية، وهو بالإضافة إلى ذلك بعيد عن التكلف والزخرفة اللفظية، مهتم بالغوص وراء المعانى وتوليد الصور الجميلة.

٤- يستطيع الباحث- بهذه الدراسة- الزعم بأن ابن الخيمى هو رائد هذا الفن الشعرى لايسبقه إلاّ ابن سناء الملك فى جانب واحد منه وهو شعر "التهنئة" وأما القاضى الفاضل- رغم مكانته الأدبية وشعره الغزير وعلاقاته الكثيرة بأدباء عصره، وإن كان سابقاً بفترة وجيزة على ابن الخيمى- فإن شعر الإخوانيات عندة لايصل إلى ذلك

(١) فنون الشعر: د. الشكعة، ص ٤١٤.

الكم الذى نجده فى ديوان ابن الخيمى[1].

٥- يكشف هذا البحث عن شاعر له مكانته فى العصر الأيوبى والمملوكى الأول وهو شاعر لايقل درجة عن الشعراء المعروفين آنذاك مثل البهاء زهير وابن النبيه وابن مطروح.

٦- تسجل هذه الدراسة ضرورة تحقيق ديوان ابن الخيمى وإخراجه إلى الضوء وإقامة دراسة علمية جادة حوله.

٧- تدعو هذه الدراسة إلى ضرورة البحث فى موضوع هام هو"العلاقات الإخوانية ونتاجها الشعرى فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول لأن شعر هذه العلاقات سجل حقيقى وصادق لحياة هؤلاء الشعراء ونفسياتهم وأحوالهم.

(١) يذكر د. أحمد أحمد بدوى: محقق ديوان القاضى الفاضل أن شعر رسائل القاضى الفاضل يبلغ "تسعة وثمانين بيتاً ومائتى بيت" انظر ديوان القاضى الفاضل، جـ٢، ص٥٦٧، ط دار الكتاب العربى، سنة ١٩٦١.

- بينما يبلغ شعر اخوانيات ابن الخيمى خمسمائة وسبعة وثلاثين بيتاً.

## ثبت بالمصادر والمراجع والدوريات

**أولا: المصادر والمراجع:**

١- الأدب فى العصر الأيوبى
- د. زغلول سلام- ط/ منشأة المعارف- القاهرة سنة ١٩٩٠م.

٢- الأدب فى العصر المملوكى
- د. محمدزغلول سلام- ط/ دار المعارف- القاهرة سنة ١٩٧١م.

٣- الأعلام
- الزركلى -ط دار العلم- بيروت سنة ١٩٨٦م.

٤- بدائع البدائة
- على بن ظافر الأزدى، ط/ الأنجلو سنة ١٩٧٠.
تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم

٥- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة
- السيوطى، ط/ العصرية- بيروت.

٦- تاريخ الأدب العربى
- بروكلمان، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٧- تاريخ الأدب العربى "عصر الدول والإمارات".
- د. شوقى ضيف، ط/ دار المعارف، سنة ١٩٨٤م.

٨- حسن المحاضرة
- السيوطى، ط١/ عيسى البابلى الحلبى سنة ١٩٦٧م.
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم

٩- دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين
- د. محمد كامل حسين، ط/ دار الفكر العربى- القاهرة سنة ١٩٥٧.

١٠-ديوان ابن الخيمى
- مخطوط بمعهد المخطوطات- بجامعة الدول العربية برقم ١٤٤٧ أدب

١١-ديوان ابن سناء الملك

- ابن سناء الملك، نشر دار الكتاب العربى- القاهرة سنة ١٩٦٩

تحقيق: محمد إبراهيم نصر

مراجعة: د. حسين نصار

١٢-ديوان البهاء زهير

- البهاء زهير، ط٢/ دار المعارف سنة ١٩٨٢م.

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد طاهر الحبلاوى

١٣-ديوان القاضى الفاضل

- القاضى الفاضل، ط١/ دار الكتاب العربى سنة ١٩٦١م.

تحقيق د. أحمد أحمد بدوى.

مراجعة: إبراهيم الإبيارى.

١٤-سيرة ابن هشام

- ابن هشام، ط٣/ البابى الحلبى سنة ١٩٥٥م.

تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

١٥-شذرات الذهب

- ابن العماد الحنبلى، ط/ دار الافاق الجديدة- بيروت.

١٦-شعراء مصر من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الفاطمية

- محمد مصطفى الماحى، ط/ الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٨٠/

ود/ محمد عبد المنعم خفاجى.

١٧-عصر سلاطين المماليك

- د. محمودرزق سليم، ط/ مكتبة الآداب- القاهرةس نة ١٩٦٥م.

١٨-فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين

- د. مصطفى الشكعة، ط/ عالم الكتب- بيروت سنة ١٩٨١م.

١٩-فوات الوفيات

- ابن شاكر الكتبى، ط/ دار الثقافة- بيروت.

تحقيق د. إحسان عباس.

٢٠-مختارات شعواء العرب
- ابنّ الشجرى، ط١/ التوفيقية- القاهرة سنة ١٩٧٩م
تحقيق د. نعمان محمد أمين طه
٢١-مطالعات فى الشعر فى الصعر المملوكى والعثمانى
- د. بكر شيخ أمين، ط رابعة/ دار العلم- بيروت سنة ١٩٨٦م.
٢٢-النجوم الزاهرة
- ابن تغرى بردى، ط/ دار الكتب المصرية
٢٣-الوافى بالوفيات
- صلاح الدين الصدفى،ط ثانية سنة ١٩٦٢م.
٢٤-وفيات الأعيان
- ابن خلكان، ط/ دار صادر بيروت
تحقيق د. إحسان عباس.

**ثانياً: الدوريات**

- (الدارة)- العدد الثالث من السنة الرابعة عشرة سنة ١٤٠٩هـ بحث للدكتور/ محمد عبد الحميد سالم بعنوان (موازنة بين"سجع المطوق" لابن نباته المصرى المتوفى سنة ٧٦٨هـ، "ألحان السواجع" لصلاح الدين الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ.